تفسير ابن كثير

يقول تعالى : كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر ا ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عمايتكم وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم } قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة ا وبتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم ا D وكذلك قال السدي وقال ابن جريج : { أتأمرون الناس بالبر } أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم ا بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة وقال محمد بن إسحاق عن محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس : { وتنسون أنفسكم } أي تتركون أنفسكم { وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون } أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي وقال الضحاك عن ابن عباس : في هذه الاية يقول : أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد صلى ا عليه وسلّم وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني علي بن الحسن حدثنا مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن أيوب السختياني عن أبي قلابة في قول ا تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب } قال أبو الدرداء أشد لها فيكون نفسه إلى يرجع ثم ا ذات في الناس يمقت حتى الفقه كل الرجل يفقه لا : Bo مقتا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الاية هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق فقال ا تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون } والغرض : أن ا تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام : { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا با عليه توكلت وإليه أنيب } فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الاخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف وأضعف منه تمسكهم بهذه الاية فإنه لا حجة لهم فيها والصحيح : أن العالم

يأمر بالمعروف وإن لم يفعله وينهى عن المنكر وإن ارتكبه قال مالك عن ربيعة : سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال مالك : وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء ؟ (قلت) لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيرة فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي والحسن بن علي العمري قالا : حدثنا هشام بن عمار حدثنا علي بن سليمان الكلبي حدثنا الأعمش عن أبي تميمة الهجيمي عن جندب بن عبد ا B‌ه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه] هذا حديث غريب من هذا الوجه حديث آخر قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا وكيع حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد هو ابن جدعان عن أنس بن مالك B‌ه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار قال : قلت من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون] ورواه عبد بن حميد في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة به ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمد المؤدب والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به وكذا رواه يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة به ثم قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد ا بن إبراهيم حدثنا موسى بن هارون حدثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ مكي بن إبراهيم حدثنا عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم] وأخرجه ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضا من حديث هشام الدستوائي عن المغيرة يعني ابن حبيب ختن مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالكن قال : لما عرج برسول ا صلى ا عليه وسلّم مر بقوم تقرض شفاههم فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون حديث آخر ـ قال الإمام أحمد : حدثنا يعلى بن عبيد : حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال : قيل لأسامة وأنا رديفه : ألا تكلم عثمان ؟ فقال : إنكم ترون أني لا أكلمه ألا أسمعكم إني لأكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من افتتحه وا لا أقول لرجل إنك خير الناس وإن كان علي أميرا بعد أن سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : [يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق به أقتابه فيدور بها في النار كما يدور

الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون : يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه] رواه البخاري ومسلم من حديث سليمان بن مهران الأعمش به نحوه وقال أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [إن ا يعافي الأميين يوم القيامة مالا يعافي العلماء] وقد ورد في بعض الاثار : أنه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة واحدة ليس من يعلم كمن لا يعلم وقال تعالى : { قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب } وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [إن أناسا من أهل الجنة يطلعون على أناس من أهل النار فيقولون بم دخلتم النار ؟ فوا ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم فيقولون : إنا كنا نقول ولا نفعل] ورواه ابن جرير الطبري عن أحمد بن يحيى الخباز الرملي عن زهير بن عباد الرواسي عن أبي بكر الزهري عبد ا بن حكيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن الوليد بن عقبة فذكره وقال الضحاك عن ابن عباس : أنه جاءه رجل فقال : يا ابن عباس إن أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال : أبلغت ذلك ؟ قال : أرجو قال : إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب ا فافعل قال : وما هن ؟ قال : قوله تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم } أحكمت هذه قال : لا قال : فالحرف الثاني ؟ قال : قوله تعالى : { لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند ا أن تقولوا ما لا تفعلون } أحكمت هذه ؟ قال : لا قال : فالحرف الثالث ؟ قال : قول العبد الصالح شعيب عليه السلام { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح } أحكمت هذه الاية ؟ قال : لا قال : فابدأ بنفسك رواه ابن مردويه في تفسيره وقال الطبراني : حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا زيد بن الحارث حدثنا عبد ا بن خراش عن العوام بن حوشب عن المسيب بن رافع عن ابن عمر قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط ا حتى يكف أو يعمل ما قال أو دعا إليه] إسناده فيه ضعف وقال إبراهيم النخعي : إن لأكره القصص لثلاث آيات : قوله تعالى : { أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم } وقوله : { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند ا أن تقولوا ما لا تفعلون } وقوله إخبارا عن شعيب : { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا با عليه توكلت وإليه أنيب }